UNIVERSITÉ PARIS-SORBONNE
PRÉPARATION INTERUNIVERSITAIRE CONCOURS D'ARABE
MASTERS RECHERCHE / MASTER MEEF

VERSION ARABE
cours F. Lagrange
2015-2016

١/ سعود السنعوسي - ساق البامبو
٢/ التنوخي - نشوار المحاضرة
٣/ خيري شلبي - أولنا ولد
٤/ الشابشتي - الديارات
٥/ فارس الشدياق - الساق على الساق
٦/ حسين أحمد أمين - دليل المسلم الحزين

ساق البامبو

رواية

سعود السنعوسي

الطبعة الأولى
1433 هـ - 2012 م

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

(2)

جاءت والدتي للعمل هنا، في منزل مَن أصبحت بعد زمن جدتي، في منتصف ثمانينيات القرن الماضي، تاركة وراءها دراستها، وعائلتها.. والدها، وأختها التي أصبحت أمّا لتوّها آنذاك، وأخاها وزوجته وأبناءهما الثلاثة، يعقدون آمالهم على جوزافين، والدتي، لتضمن لهم حياة ليس بالضرورة أن تكون كريمة.. بل حياة وحسب، بعد أن ضاقت بهم السبل.

تقول والدتي: "لم أتخيل قط بأنني سأعمل خادمة في يوم ما". كانت فتاة حالمة. تطمح لأن تنهي دراستها لتعمل في وظيفة محترمة. لم تكن تشبه أفراد عائلتها في شيء. في حين كانت أختها تحلم بشراء حذاء أو فستان جديد، كانت أمي لا تحلم بأكثر من أن تقتني كتابا بين وقت وآخر، تشتريه أو تستعيره من إحدى زميلاتها في الفصل. تقول: "قرأتُ الكثير من الروايات، الخيالية منها والواقعية. أحببتُ سندريللا وكوزيت بطلة البؤساء، حتى أصبحت مثلهما، خادمة، إلا أنني لم أحظ بنهاية سعيدة كما حدث معهما".

ساقت الظروف والدتي لترك بلادها وأهلها وأصدقائها للعمل في الخارج، وعلى صعوبة هذا، بالنسبة لفتاة في العشرين من عمرها، فإن مصيرها كان أفضل بكثير من ذلك الذي سيقت إليه أختها، آيدا، التي تكبرها بثلاثة أعوام. فحين تحالف الجوع مع مرض والدتها والديون التي أثقلت كاهل والدها المقامر الذي أفنى ماله في تربية ديوك المصارعة، لم يجد الأبوان بدا من تقديم ابنتهما البكر، ذات السابعة عشرة آنذاك، مجبرة، إلى سمسار يوفر لها فرصة عمل في مراقص وحانات المنطقة، والنزول عند شرطه بأن يأخذ حصته، جسدا ونقدا، من الفتاة في نهاية كل يوم عمل.

"كل شيء يحدث بسبب.. ولسبب"، هذا ما تردده أمي دائما، وإذا ما بحثت عن سبب لكل ما يحدث لا أجد سوى الفقر منتصبا أمامي.

تدرجت آيدا صعودا في عملها إلى القمة، نزولا في ذاتها إلى القاع. بدأت نادلة في حانة تفترسها أعين السكارى وألسنتهم القذرة، ثم نادلة في ملهى ليلي تزاحمها الأجساد المتعرقة وتلامسها الكفوف الوقحة، ثم راقصة في ناد للعراة تلتهمها الأعين الجائعة، وهكذا، إلى أن نالت أعلى المراتب وأدناها في عالم الليل.

"هل يذهبن إلى الجحيم؟" سألتُ والدتي ذات يوم عن مصير فتيات الليل اللاتي يتسللن إلى أرصفة الشوارع ما إن تغيب الشمس، كسرطانات البحر التي تعربد في رمال الشاطئ ما إن تغيب المياه في الجزر. تعود الشمس من غيابها تغسل بأشعتها خطايا الليل، ويعود المد مبتلعا سرطانات البحر، رادما جحورا حفرتها في الرمال أثناء غيابه. "لست أدري، ولكنهن، حتما، يقدن الرجال إليه" تجيب والدتي من دون يقين.

قدمت آيدا الصغيرة، آنذاك، جسدها لكل من يسألها ذلك مقابل أن يدفع مبلغا يحدده سمسارها. هناك ثمن خاص للرجل الأجنبي يفوق الثمن المخفض الذي يتمتع به الرجل المحلي الفقير. كما ان الثمن يتفاوت نظرا للوقت والمكان. للساعة الواحدة ثمنها.. ولليلة الكاملة ثمنها.. وللخدمة في غرف النادي الخلفية ثمن، ولخدمة الفنادق ثمن آخر.

أصبحت آيدا شيئا، مثل أي شيء يباع ويشترى بثمن.. ثمن بخس في الغالب وباهظ في ما ندر، يتفاوت ثمنها نظرا لنوع الخدمة التي تقدمها. عملت صامتة حزينة، كارهة للمال والرجال. ليس المؤلم أن يكون للإنسان ثمن بخس، بل الألم، كل الألم، أن يكون للإنسان ثمن.

صارت آيدا مصدر دخل للعائلة، تعود مع ساعات الفجر الأولى حاملة حقيبتها الصغيرة في يدها، تحتوي على ما تنتظره أمها المريضة وأبوها المقامر بفارغ الصبر. تتأخر أحيانا عن موعد وصولها، تقلق والدتي على أختها الكبرى، في حين يتفاءل الأبوان لهذا التأخير، لأنه يشي بقضائها ليلة كاملة مع أحدهم في فندق ما، وهذا له ثمن مجز، ومن البديهي ان ساكن الفندق رجل أجنبي، وهذا له ثمن أيضا، يضاعف من محتوى حقيبتها الصغيرة. لا ينظر الأبوان إلى وجه ابنتهما، فنظرهما لا يتجاوز خاصرتها حيث حقيبتها. تعود أحيانا بشفة متورمة أو أنف دامٍ أو بكدمة زرقاء داكنة في فكّها، كان كل ذلك غير مرئي بالنسبة لهما، لا يعنيهما من أمر الشاذ الذي ألحق تلك الأضرار بابنتهما سوى أمواله التي أغدقها عليها بعد إشباع شهوته.

انغمست آيدا في هذا العالم. أدمنت الشرب وتدخين الماريجوانا. أصبح كل شيء بالنسبة لها مقبولا، وليس ثمة شيء في حياتها له قيمة. حملت أكثر من مرة، ولكن حملها لا يستمر، فقد كانت تسقطه فور علمها به، كرها في الجنين وضغطا من والديها حفاظا على عملها التعس، إلى أن جاء اليوم الذي حملت فيه بابنتها ميرلا، وكانت في الثالثة والعشرين من عمرها، أخفت أمر حملها عن الجميع إلا أختها الصغرى، أمي، بعد أن أدركت بأنه خلاصها الوحيد من عملها الذي وافقت عليه مجبرة.

أشاعت آيدا خبر حملها لوالديها في وقت متأخر، بعد أن طُردت من عملها وبعدما أصبح اسقاط الجنين أمرا مستحيلا، وأخبرتهما بأنها لن تعود للعمل. انقطع العلاج عن جدتي.. ساءت حالتها.. تدهورت.. وبقي جدّي منصرفا إلى مصارعة ديوكه.

فقدت العائلة أحد أعضائها، في الوقت الذي انضم لها عضو جديد. ففي الوقت الذي تنفست فيه ميرلا أول أنفاسها، لفظت جدتي

نفسها الأخير.

جاءت ميرلا بشكل جديد. كانت فلبينية الملامح لولا بشرتها البيضاء المائلة للحمرة، وشعرها البني، وعيناها الزرقاوان، وأنفها البارز.

كانت والدتي في ذلك الوقت قد بلغت عامها العشرين. وبلا شك، في نظر جدّي، كانت الاستثمار الأمثل للعائلة، وضمان استمرارها في الوقت الذي أصبحت فيه آيدا عاطلة عن العمل، منصرفة إلى تربية ابنتها. وفي ظل انصراف الابن الوحيد، بيدرو، عن شؤون أبيه وأختيه وانشغاله الدائم في البحث عن عمل، كان الوقت قد حان لاستثمار جوزافين.

* * *

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

عبود الشالجي

المحامي

دار صادر

بيروت

٥٩

حلف بالطلاق

لا يحضر دعوة أبداً

أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، قال : أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، عن أبيه ، قال : حدّثني الشريف أبو أحمد الحسين ابن موسى العلوي ، النقيب[1] قال :

حدّثني شيخ كان يخدمني : انّه حلف بالطلاق أن لا يحضر أبداً دعوة ، فسألته عن سبب ذلك ، فقال :

كنت قد انحدرت إلى البصرة من بغداد ، فصعدت إلى بعض مشارع البصرة ، فاستقبلني رجل ، فكناني بغير كنيتي ، وبشّ بي ، واحتفى ، وجعل يسائلني عن قوم لا أعرفهم .

وكنت غريباً ، لا أعرف مكاناً ، فقلت : أبيت عنده الليلة إلى غد ، فأطلب مكاناً ، فوهمت عليه في القول ، فجذبني إلى منزله ، ومعي رَحْل صالح ، وفي كمّي دراهم كثيرة .

فدخلت إليه ، فرأيت داراً حسنة ، وحالاً متوسّطاً ، وإذا عنده دعوة ، وهم على نبيذ ، وقد خرج لحاجة ، فشبّهني بصديق كان له ، وكان فيمن كان عنده غلام أمرد ، فلما أخذنا مضجعنا للنوم ، ندمت على فعلي ، ونامت الجماعة .

فلما كان بعد ساعة طويلة ، رأيت أحد الجماعة ، قد قام إلى الغلام

---

١ أبو أحمد الحسين بن موسى الحسيني الموسوي ، نقيب العلويين ، ووالد الشريفين الرضي والمرتضى : ترجمته في حاشية القصة ٣/١١٦ من النشوار .

الأمرد ، ففسق به ، ورجع إلى موضعه ، وكان قريباً من صاحب الغلام ، فاستيقظ صاحب الغلام ، وحرّكه .

فقال له الغلام : ما تريد ؟ ألم تكن الساعة عندي، وفعلت بي وكذا كذا .

فقال له : لا .

فقال : قد جاءني الساعة من فعل بي كذا ، فظننت أنّه هو أنت ، فلم أتحرّك ، ولم أظن أنّ أحداً يجسر عليك .

فنخر الرجل وجرّد سكّيناً من وسطه، واتّفق أنّه بدأ بصاحب الخيانة ، وأنا أرعد فزعاً ، ولو كان بدأ بي فوجدني أرعد ، لقتلني ، وكان يظن أنني صاحب القصة .

فلما أراده الله من حياتي ، بدأ بصاحب القصّة ، فوضع يده على قلبه ، فوجده يخفق ، وقد تناوم عليه الرجل ، يرجو بذلك السلامة ، فوضع السكين في فؤاده ، وأمسك فاه ، فاضطرب الرجل وتلف ، وأخذ بيد غلامه وانصرف[1].

١ وردت القصة في كتاب الفرج بعد الشدة ، للقاضي التنوخي ، في المخطوطة الظاهرية ص ١٦٦ .

خيرى شلبى

ثلاثية الأمالى
لأبى على حسن ولد خالى

أولنا ولد

سيرة شعبية يرويها

طبعة دار الشروق الأولى ٢٠٠٧
الطبعة الثانية ٢٠٠٨

دار الشروق

الفاتحـــة

اللـه لا يعيدهـا مـن أيـام، الفقـر وحش يـا ولـدى وأكل العيـش مر، والبطن لا ترحم، وهى ليسـت بطنًا واحدة، خـذ عندك أمى، وأربع بنات كبـار، وطفـل، وأنـا.. كان لنـا أب شـذ عن إخوته أهـل العلـم والفقهنة، أتذكر ملامحه كنت أشـاهدها الخالق الناطق على وجوه أعمامى الفقهاء المحترميـن، وأتعجـب: كيف يصيـر هؤلاء محترمين هكـذا؟ وأبى على بـاب اللـه يعيش علـى ذراعه يشـتغل يومًا ويتبطل عشـرة، حتى ليمشـى يعرض الخدمة على الناس يتطوع بالمساعدة دون أن يدعوه أحد، أحيانًا دون لـزوم، أنت وغيرك تتصور أن المسـألة مجرد شـهامة من رجل يبدو محترمًا غير أجير، فتكتفى برفع ذراعك فى الهواء بالشـكر والتحية مثلما تشكر أعيان الناس بينما تعطيه ظهرك متكلاً على الله. واقعتك سوداء لو فعلتهـا ربمـا مشـى خلفـك فى هدوء شـديد ليجذبـك من أى مـكان فى متناول يده الغليظة الخشـنة، ذراعك أو خناقك أو رقبتك نفسـها لا يهم: تعال هنا.. حمار أنا يعنى أشتغل لله من غير أجر؟! حتى الحمار يعلفونه وينفقون عليه!..

الـكل يا ولـدى كان يتقى شـره، يتركونه يسـاعدهم راغمين، لم تكن المصادمـات تحـدث بينـه وبين أحـد إلا أيام السـوق، حيـث ينخدع فى

شكله الغرباء، يرون فى وجهه صلاح أعمامى وطيبة قلوبهم ورجولتهم، بعدها هو وبخته، حسب نوع الناس الذين يرمى بجثته عليهم، مع أنه أزرق الناب، عليه رحمة الله كان يعرف الناس من أقفيتهم، ومنها يتوسم فيهم الخير أو كلاحة الوجه، العبد منا ليس معصومًا من الخطأ، ويرحمه الله كان يضرب فى قلب السوق ينظر حواليه وعينه لائذة بكل شىء، يرى جماعة ينزلون أجولة الحبوب عن الركائب يعدون الفرش، يراهم فى حاجة حقيقية لمساعدته لكنه يعطيهم ظهره وينصرف، ليساعد بائع العجوة فى نصب خيمته وإعداد موازينه، وبعدها يقف يتلكأ فيفهم البائع هذه الإشارة، يطبق يده على الواحد بأربعة أو القرش على سبيل الهدية، أو الحسنة التى يسره أن يقبلها ذلك الرجل الطيب المحترم لعله يكون بركة، أما تجار الحبوب فإنهم كانوا سيسخرونه فى تفريغ وتكييل وتحميل طول نهار السوق وفى النهاية لن يأخذ سوى القرشين!..

أتممت فى الشهر الفائت أربعة وخمسين حولاً بالتمام والكمال ومازلت أذكر أيام كان يتركنى أشبط فى ذيله، فأمضى معه يوم السوق كله، كان يعرق بحق، يصعب علىّ، من فرش إلى فرش، يحمل، يعتق، يجر العربات، يتعارك فى اليوم مائة عركة، فى كل عركة يضرب وينضرب حتى يقع مغشيًا عليه، وولد خالك يصرخ لله ما يغيثه من كثرة الخوف على أبى الذى أراه يموت أمام عينى فى اليوم الواحد عشرين ثلاثين مرة على الأقل! أتعجب فى كل عركة كيف كان يستطيع النهوض بعدها متجهًا إلى فرش آخر يبحث فيه عن مساعدة يقدمها لأصحابه، إن لم تكن موجودة اختلقتها، لربما فوجئت به يكنس أمام دكانك ويرش، مما يجعلك تنتبه إلى أنك بالفعل كنت محتاجًا لمن يكنس لك المكان ويرشه ليصير نظيفًا هكذا، أو تراه قد تسلل إلى فرشك وراح يرتب أجولته وموازينه من الفوضى التى أحدثتها معاينات الزبائن وفركشاتهم للبضائع، مما

يجعلك تنتبه إلى أنك بالفعل كنت محتاجًا لمن يقوم لك بهذه المهمة، ولربما فوجئت به واقفًا أمامك ماثلاً رهن الإشارة فى أن تكلفه بشىء أو تطلب منه طلبًا أو تأمره بأمر، ومن هنا كانت تكثر خناقاته يا ولدى، وكان رأس ولد خالك الصغير أيامها لا يمكن أن يخطر له أن أبى هو الذى يسعى إلى العركة سعيًا، كنت أستعيذ بالله ويدب الرعب فىّ كلما بدأ صوته يعلو فى الكلام وترتعش شفتاه وتبرق عيناه، أروح أقول لنفسى يا سابل الستر استر يا رب، رمشة عين والأخرى تكون الخناقة قامت والضربة دوت على وجه أبى، تتبعها الشلاليت والبونيات وأبى يفلفص بين جمع من الناس يلتم عليه فجأة ليخلصه ولكن بمزيد من الضرب، بعدها يقف بعيدًا ويأخذ فى الصياح والاحتجاج على ضربه وهو ابن الناس الطيبين وأخوة له فقهاء مشهورون، فيتحرج الذين ضربوه، يبعثون له من يصالحه، يراضيه بقرش يزيد عما كان سيأخذه بدون عراك!..

ولد خالك لم يعد يخاف، فهمت أن أبى يفعل ذلك من أجل زيادة قرشًا أو قرشين، فى يوم السوق لابد أن تطبخ كافة الدور، الدار التى لا يتصاعد منها الدخان ليلة السوق هى دار اليتامى، ولابد أن يوقد الكانون فى دارنا ويرسل دخانه ولهذا كان أبى بعد كل هذه البهدلة والضرب المميت ـ يبدأ فى الابتسام منذ انصرافه من أمام «سيبة» الجزار، حيث يكون قد تأكد من أن اللحم صار أخيرًا فى يديه، تنام اللفة الورقية الحمراء التخينة المبقعة بالدم على صدره وهو يركض مترنحًا ذات اليمين وذات اليسار، كالسكران النشوان يلقى السلام على الناس بكل ود، فيردون عليه بكل احترام للورقة النائمة على صدره يقولون: تفضل يا أبو عواد، فيقول: عشت، عشت، وتزداد الابتسامة نورًا على وجهه كلما اقترب من حارتنا، فإذا يبدأ فى دخول حارتنا يأخذ شكل الرجل المحترم يبدو بالفعل نسخة من وقار أعمامى الفقهاء فى مشيتهم،

لا فرق سوى الجبة والقفطان والعمامة والعصا، ولم أكن أعرف لماذا يفعل هذا فى هذه الحارة بالذات مع أننى أعرف أن أناسًا كثيرين من أهل حارتنا هذه شاهدوه فى السوق وهو ينضرب بالصرمة القديمة، هم أيضًا كانوا يردون عليه السلام بكل احترام قائلين: تفضل يا أبو عواد، فيقول: عشت، عشت، ويدلف إلى دارنا، من خلفه أنا، متفاخرًا، محشو الجيوب بالعجوة والبرتقال واليوسفندى والفول السودانى، ينشرح وجه أمى وإخوتى من منظر الورقة، أمى تسمى بالله قبل أن تفتحها، تقلب فيها قائلة لأبى وهى تشوح بيدها فى وجهه بحب: انشا الله ما اشتهيك، تذهب إلى الكانون المشتعل تكاد تزغرد من الفرح، أنسى فى الحال كل ما أصابنى من بكاء وصراخ ونكد، أوزع على إخوتى وأمى وأبى كل واحد بلحة عجوة وفص برتقال، يكون ريقنا قد بدأ يجرى والفرح يعمنا كلما طلعت رائحة اللحم المسلوق من تحت غطاء الحلة مع الدخان..

خالك، يرحمه الله، اشتغل فى أشغال كثيرة، الشغلة الوحيدة التى كنا نحبها ونتمنى لو دامت هى شغلة الخفارة، حيث خفرنا ماكينة مياه كبيرة كانت لرجل من الأعيان طيب القلب مثل حالاتك وحالاتى، كان له ثلاثمائة فدان تسهر عليها ماكينة المياه ونحن وأبى نسهر عليها وعلى الأرض طول الليل. أقمنا دارًا لنا بجوار الماكينة وأقمنا فيها، فبقيت دارنا تقطع المسافة بين البلدة والجبل، إلى الجبل كانت أقرب، وكل العصابات التى تختبىء فى مغارات داخل الجبل كانوا أصحاب والدى وكانوا يستريحون عندنا أثناء تسللهم من الجبل ليلاً إلى البلد أو تسللهم من البلد إلى الجبل. «على السايح» نفسه، الذى هرب من السجن والقيد الحديدى فى يديه، كان يستريح عندنا، ولقد سحرنى هذا الرجل مثلما سحرنى الجبل، هو الوحيد الذى بهرنى بعد الجبل وأوقف شعر رأسى

من الرعب والحب لهؤلاء الذين يدوخون البَّر كله يحتضنهم هذا الجبل المهيب المليء بالمغارات..

أتعرفون كيف هرب «على السايح»؟ تراك أنت وجيلك لم تسمع به. وهل رأيتم أنتم شيئًا؟ إنكم جيل الفقر والحروب وعسكر الاحتلال واحتلال العسكر، فمن أين تجيئكم المرجلة عدم المؤاخذة؟ من السمن الهولندى والقمح الأمريكى المدفوع فيه شرفكم؟ أم من الفراخ الفاسدة ولحوم الكلاب المفرومة التى يوردها عبد الحى وعبد الميت؟! أم من الماء العكر المختلط بماء المجارى والهواء المختلط بعادم المكن والمواقد؟! أم من ضرب المعسكر فيكم ومن تحكم النذل الخسيس فى الأصيل الجدع؟! عليه العوض ومنه العوض فيكم يا ولدى! فى هذه البلاد كل شىء كبير غلط لا أحد يدرى ما هو لكننى أقول أنه ندرة الرجال!.

«على السايح» كان محكومًا عليه فى أربع تأبيدات كلها اعتداء على الحكومة وقتل أعيان من رجالها، مع أن الحكومة هى التى كانت تبدأ دائمًا بالعدوان، وهل هناك من يعتدى على الحكومة من الباب للطاق؟. الناس تعتدى على الناس، وهيهات أن تجىء الحكومة فى الوقت المناسب، الميت يبقى فى مكانه ثلاثة أيام ربما عشرة فى انتظار تشريف وكيل النيابة إلى أن تتعفن جثته ولا يستطيع مخلوق أن يقترب منها، وحتى لو جاءت النيابة فماذا ستفعل؟ محاضر وأقوال؟ طبيب شرعى يبيع التقارير بتسعيرة كبيرة؟! وحقوق تضيعها المحاكم بين قضاة يعوجون الطربوش على ناحية ويحكمون بأربع وعشر ومؤبد وهم لا يعرفون أصل الحكاية من فصلها ولا ظالم من مظلوم؟! ومحامون متكلمون يختلقون الأوراق ويولدون الكلام كلامًا ومخارج وأوهامًا تصفى دم الغلابة؟!..

الديارات

لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي

(المتوفى سنة ٣٨٨هـ = ٩٩٨م)

تحقيق

كوركيس عواد

دار الرائد العربي
بيروت ـ لبنان

دير باشهرا[١]

وهذا الدير على شاطىء دجلة ، [بين سامراء وبغداد][٢] . وهو دير حسن ، عامر ، نزه ، كثير البساتين والكروم . وهو أحد المواضع المقصودة والديارات المشهورة[٣] . والمنحدرون من سر من رأى ، والمصعدون اليها ، ينزلونه . فمن جعله طريقاً ، بات فيه وأقام به ان طاب له . ومن قصده ، أقام الأيام في ألذ عيش وأطيبه ، وأحسن مكان وأنزهه !

ولأبي العيناء[٤] فيه[٥] ، وكان نزله وأقام به أياما ، واستطابه ،

---

(١) قال أحمد زكي باشا (مسالك الأبصار ص ٢٨٢ حاشية ٢) في تعليقه على صفة هذا الدير : « وقد يكتبونه باشهرا » . ولم يشر الى موطن هذه التسمية المصحفة . فاللفظة سريانية : «بيث شهرا» بمعنى محل السهر ، وهي مشهورة في كنائس المشرق . وعندهم ايضاً « صلوثا دشهرا » و « قال دشهرا » أي صلاة السهر . (دليل الراغبين ص ٧٧١) .

(٢) الزيادة من معجم البلدان .

(٣) في الهامش ، بخط يخالف الأصل : « النوادر الواقعة في هذا الدير لطيفة جداً . يجب على المسامر حفظها واستحضارها فان النفس تشرف برفائع الأقاصيص » .

(٤) هو محمد بن أبي القاسم اليمامي ، اشتهر بكنيته . مات سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٥م) . وللصاحب بن عباد ، كتاب «أخبار أبي العيناء» (معجم الأدباء ٢ : ٣١٦) وقد ضاع . ولأبي العيناء ذكر في أكثر كتب الادب والتاريخ والتراجم : مروج الذهب (٨ : ١٢٠ ـ ١٢٥)، الفهرست (ص ١٢٥) ، تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ١٧٠ ـ ١٧٩)، المنتظم (٥ : ١٥٦ ـ ١٦٠) ، معجم الادباء (٧ : ٦١ ـ ٧٣) ، الوفيات (١ : ٧١٩ ـ ٧٢٢) ، نكت الهميان (ص ٢٦٥ ـ ٢٧٠) ، لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٥ : ٣٤٤ ـ ٣٤٦) ، الشذرات (٢ : ١٨٠ ـ ١٨٢) .

(٥) قال ياقوت بصدد هذا الشعر (معجم البلدان ٢ : ٦٤٥) :

وقال فيه[٦] :

نزلنـــا دير باشـهرا ... على قسيسة ، ظهرا
عـلى دين أيسوع[٧] ... فما أفتى وما أسـرا
(٣٢ب) فأولى من جميـل الفعـ ... ـل ما يستعبد الحُرا
وسقّـــانا وروّانـا ... مـن الصافيـة العـــذرا
وطاب الوقت في الـدير ... فرابطنـــا بـــه عشـرا
وسُقّينا بـه الشمس[٨] ... وأُخدمنا بـــه البـــدرا
وأحيت لـــذّة الـكأس ... ولـكن قتّلت ســـكـرا
ونلنـــا كل ما نهـــوا ... ه من لذاتنـا ، جَهـرا
تصابينـــا ، وغنّينـــا ، ... وأرغمنـا بـــه الدهرا
فنـكنـــا ، وتهتـكنـا ، ... ومشـلي هتَـك الستـرا
وقـــد ساعدنا ربّن[٩] ... طوعاً منـــه ، لا جبـرا
جـــزاه الله عن خـــير ... بـــه قابلنـــا خـــيرا
فقـــد أوسعته شـكرا ... كمـــا أوسعنا بـــرا

وكان أبو العيناء من الطياب • وكان المتوكل يعجب بكلامه وسرعـة جوابه ونوادره • وعَمي على رأس أربعين سنة من عمره • ومما يدل على

« ... وأنشد [الشابشتي] فيه [في دير باشهرا] لابي العيناء • فان صح ، فهو غريب ، لان أبا العيناء قليل الشعر جدا ، ولم يصح عندي له شيء من الشعر البتة » •

(٦) معجم البلدان (٢ : ٦٤٥) ، المسالك (ص ٢٨٢) •

(٧) لا يستقيم الشطر الا بقوله : « أيا سوع » أو « يسوعي » (كاظم الدجيلي) • قلنا : وفي معجم البلدان « يشوعي » •

(٨) الشمس يقصد بها هنا الخمرة •

(٩) ربن وتكتب ربان : لفظة سريانية معناها الراهب •

ذلك ، قول أبي علي البصير[١٠] ، فيه[١١] :

قد كنتُ خفت يد الزما ... ن عليـك إذ ذهب البصر
(٣٣أ) لـــم أدر أنك بالعمـــى ... تغنـى ويفتقـرُ البشـر

وكان حسن الشعر ، جيد العارضة ، مليح الكتابة والترسل ، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم •

ونحن نذكر طرفاً من أخباره ، بمقدار لا يخـرج الى الاطالة ، ولا يخل بالشرط[١٢] •

قال[١٣] المتوكل لأبي العيناء : ما أشـد شيء مر عليـك في ذهاب بصرك ؟ قال : فوات رؤيتك يا أميرالمؤمنين ، مع إجماع الناس على جمالك •

وقال[١٤] له يوماً : يا محمد ، الى كم تمدح الناس وتذمهم ؟ قال : ما أساءوا وأحسنوا •

(١٠) شاعر بليغ مترسل • كان ضريراً ولقب بالبصير تلطيفاً • وهو من أهل الكوفة وسكن بغداد مات سنة ٢٥١ هـ (٨٦٥ م) وأخباره في : طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١٨٨ ــ ١٨٩) ، الفهرست (ص ١٢٣) ، معجم الشعراء للمرزباني (ص ٣١٤) ، نكت الهميان (ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦) وفي « جمهرة رسائل العرب » لاحمد زكي صفوت (٤ : ١٥٦ ــ ١٦٩ القاهرة ١٩٣٧) شيء من رسائله •

(١١) تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ١٧٤ وقد نسب الشعر فيه الى أحمد ابن أبي طـاهر) ، معجـم الادبـاء (٧ : ٦٣) ، نكت الهميان (ص ٢٦٥) ، الشذرات (٢ : ١٨١) •

(١٢) أورد الشابشتي لابي العيناء في هذا الفصل ، ثلاثاً وثلاثين نادرة • وقد تتبعنا نوادره الاخرى في المراجع التي بيدنا ، فاذا بها لا يزيد كلها على نصف ما في الديارات •

(١٣) غرر الخصائص الواضحة للوطواط (١٢٥) •

(١٤) معجم الادباء (٧ : ٦٦) ، الوفيات (١ : ٧٢٠) •

وقال له عبيد الله بن سليمان[١٥] : قد أمرنا لك بشيء في هذا الوقت، فخذه واعذر . قال : لا أفعل ، أيها الوزير ! إذا كنت في النكبة تعتذر ، وفي الدولة تعتذر ، فمتى لا تعتذر ؟

وسأل صاعد بن مخلد[١٦] كتاباً يكتبه الى مصر . فجعل يقول : الى مصر يا أبا العيناء الى مصر ؟ فقال : وما استبعادك ، أعزّك الله ، لي مصر ؟ والله ! لما في صناديقك أبعد علي مما في مصر !

ودخل الى أبي الصقر[١٧] ، فقرّب مجلسه وأدناه ، فقال[١٨] : أيها الوزير ! تقريب الولي وحرمان العدو !

---

(١٥) هو أبو القاسم عبيدالله بن سليمان بن وهب بن سعيد ، الوزير (٢٢٦ ـ ٢٧٨ هـ ـــ ٨٤٠ ـ ٩٠٠ م) . دامت وزارته في أيام المعتمد والمعتضد عشر سنين . كان من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب ، وأخباره في : تاريخ الطبري (فهارسه) ، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابيء (فهارسه) ، الفخري (ص٣٤٧ـ ٣٤٩) ، الوفيات (١ : ٣٨٧ ـ ٣٨٨) ، فوات الوفيات (٢ : ٢٧ ـ ٢٨) .

(١٦) من مشاهير وزراء بني العباس . قال هلال الصابيء : وتلقب صاعد بن مخلد في أيام المعتمد بـ « ذي الوزارتين » اشارة الى وزارة المعتمد والموفق » (رسوم دار الخلافة ص ١٣٠ تحقيق ميخائيل عواد . بغداد ١٩٦٤) . مات سنة ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م) . (المنتظم ٥ : ٦٦ و١٠١ ، وثمار القلوب للثعالبي ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤) وسيورد الشابشتي أخبارا مهمة عن صاعد في فصل « دير قنى ».

(١٧) هو اسماعيل بن بلبل ، الوزير . استوزره الموفق لاخيه المعتمد ، سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ ـ ٨٧٩ م) . قال ابن الطقطقى (الفخري ص ٣٤٥ ـ ٣٤٧) : « كان كريماً مطعاماً متجملا ، بلغ من الوزارة مبلغاً عظيماً وجمع له السيف والقلم .. مدحه الشعراء كالبحتري وابن الرومي وغيرهما وهجوه .. وقبض عليه المعتمد وحبسه وعاقبه ثم قتله في محبسه واستصفى أمواله » .

(١٨) الايجاز والاعجاز للثعالبي (ص ٣٠ طبعة الجوائب) .

ودخل عليه يوماً ، فقال[١٩] : ما أخّرك عنا ، أبا عبد الله ؟ قال : سُرِق حماري ! قال : وكيف سرق ؟

(٣٣ب) قال : لم أكن مع اللص ، فأعرف كيف سرقه !

ثم جاءه بعد مدة ، فقال[٢٠] : ما أخّرك عنا أبا عبدالله ؟ فقال : مَنّ العواري وذلّة المكاري[٢١] . فأمر له بخمسين ديناراً .

قال : دخل أبو العيناء يوماً الى محمد بن عبدالملك الزيات ، فلم يرفع طرفه اليه ، ولا كلمه ! فقال : إن من حق نعمة الله عليك ، لما أهّلك له في الحال التي أنت عليها ، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك خُلقاً ، فان من أوحش انقبض عن المسئلة ، وبكثرة السؤال مع النجح يدوم السرور ، وبقضاء الحاجات تدوم النعم . فقال له محمد : اني أعرفك فضولياً كثير الكلام ، ترى ، ان طول لسانك يمنع من تأديبك إذ زللت ؟ وأمر به الى الحبس ! فكتب اليه أبو العيناء من الحبس : قد علمت انّ الحبس لم يكن لذنب تقدم اليك ، ولكن أحببتَ أن تريني قدرتك علي ، لأن كل جديد يُستلذّ . ولا بأس أن ترينا من عفوك ما أريتنا من قدرتك ! فأمر باطلاقه .

فلقيه بعد مدة طويلة على الطريق ، فحبس محمد دابته وقال : ما أراك أبا عبدالله تواصلنا بحسب انجائنا[٢٢] لك ! فقال أبو العيناء : أما المعرفة بعنايتك فمتأكدة ، ولكنني (٣٤ أ) أحسب الذي جدّد استبطاءك لي

---

(١٩) معجم الادباء (٧ : ٦٥) ، الوفيات (١ : ٧٢٠) ، الشذرات (٢ : ١٨١) .

(٢٠) معجم الادباء (٧ : ٦٥) ، الوفيات (١ : ٧٢٠) ، الشذرات (٢ : ١٨١) .

(٢١) ربط ابن خلكان (١ : ٧٢٠) الرواية السابقة بهذه ، فقال : « قال : فهلا أتيتنا على غيره [على غير حماره المسروق] ، قال : قعد بي عن الشراء قلة يساري وكرهت ذل المكاري ومنة العواري » .

(٢٢) المخطوط : ابجاننا .

فراغ حبسك ممن فيه ، فأردت أن تمره بي !

قال : ودخل يوماً على رجل قد عزل عن عمل كان يتولاه • فقال : لئن قبحت[٢٣] عليك النعمة ، لقد حسنت بك النقمة ! قال : ولم ذاك ؟ قال : لأني سألتك أحقر من قدرك ، فرددتني بأقبح من وجهك ، ثم قال :

قُل لزيد بن صاعدٍ جاءك العزل في لطف[٢٤]
فاجرع الهمَّ واصطبر فعلى ربّك الخلف
أنت أيضاً إذا ولـ يتَ فلا تُكثر الصلف

قال : اجتاز ابن بدر بأبي العيناء وهو على بابه جالس • فقال : هذا منزلك أبا عبدالله ؟ قال : نعم ! فان شئت أن ترى سوء أثرك فيه ، فانزل !

قال[٢٥] : ومرَّ بدار عبدالله بن منصور يوماً [وهو مريض وقد صح][٢٦] ، فقال لغلامه : أي شيء خبر أبي محمد ؟ قال : كما تحب ! قال : فما لي لا أسمع الصراخ في الدار ؟

قال[٢٧] : وذكر أبو العيناء ميمون بن ابراهيم ، فقال : لو تأمل رجل أفعاله فاجتنبها ، لاستغنى عن الآداب أن يطلبها !

قال أبو العيناء : قال لي محمد بن مكرم : أما تعرفني ؟ قلت : بلى ، ولكن معرفة (٣٤ ب) أرتني لك منها !

---

(٢٣) المخطوط : قبحت •
(٢٤) لعل الأصل : « حالك العزل في نطف » أي عزلت كما تعزل النطف من العزل ، وهو معروف في الفقه واللغة ، يقال : عزل عن أمته من باب ضرب (الدكتور مصطفى جواد) •
(٢٥) معجم الادباء (٧ : ٦٥) ، الوفيات (١ : ٧٢٠) ، نكت الهميان (ص ٢٦٧) ، الشذرات (٢ : ١٨١) •
(٢٦) الزيادة من وفيات الاعيان •
(٢٧) ذيل زهر الآداب (ص ١٦٨ و ١٦٩) •

وقال له محمد بن مكرم يوماً : يا أبا عبدالله ، كل شيء لك من الناس حتى أولادك !

وقال أبو العيناء : رأيت ابن مكرم ، فرأيت بطنه بطن حبلى ، ونفسه نفس والهى ، ومخاطه مخاط ثكلى ، وفي استه الداهية العظمى !

وقال[٢٨] له [ابن] مكرم يوماً : يا أبا عبدالله ، هو ذا تصوم معنا في هذا الشهر شيئاً ، وكان شهر رمضان • فقال : وتدعنا العجوز نصوم[٢٩] ؟

قال رجل لعبيد الله بن سليمن : إن رأيت ، أعزك الله ، أن تخرج لي رزقاً • فقال : ممن الرجل ليخرج الرزق على قدر ذاك • قال من ولد آدم ! قال أبو العيناء : احتفظ ، أعزك الله ، بهذا النسب ، فقد انقطع أصله[٣٠] !

قال : اجتمع الجاحظ وأبو العيناء عند الحسن بن وهب ، فقال له الجاحظ : علمت أن محمد بن عبدالله أحسن من عمرو بن بحر ، وأبو عبدالله أحسن من أبي عثمان • ولكن الجاحظ أحسن من أبي العيناء • فقال أبو العيناء : هيهات ! جئت الى ما يخفى من أمورنا ، ففضلتني عليك فيه ، والى ما يعرف ، ففضّلت نفسك فيه • إن أبا العيناء يدل على كنية ، والجاحظ يدل على عاهة ! والكنية وان سمجت ، أصلح من العاهة وإن ملحت !

(٣٥ أ) قال أبو العيناء : عشقتني إمرأة بالبصرة من غير أن تراني ،

---

(٢٨) معجم الأدباء (٧ : ٦٥) ، نكت الهميان (ص ٢٦٨) •
(٢٩) في نكت الهميان : « وقال ابن مكرم له يوماً : أحسبك لا تصوم شهر رمضان • فقال : ويلك ! وتدعني امرأتك أصوم ؟ » •
(٣٠) الوفيات (١ : ٧٢٠) ، معجم الأدباء (٧ ، ٦٧) ، غرر الخصائص (ص ١٠١) ، الشذرات (٢ : ١٨١) •

وانما كانت تسمع عذوبة كلامي، فلما رأتني استقبحتني ، وقالت قبحه الله ، أهذا هو ؟ فكتبت اليها :

ونبّئتُها ، لمـــا رأتني ، تنكّرت وقالت:دميم"، أحول"، ما لهجسم
فان تُنكري منـي احـولالاً فانني أديب، أريب، لاعيي ولا فدم[31]

فوقّعت في الرقعة : يا عاضّ بظر أمه ، لديوان الرسائل أردتُك ؟

ولأبي العيناء[32] ، في علي بن الجهم[33] :

أراد عـليّ أن يقـــول قصـيدة بمـــدح أمـير المؤمنـين ، فأذّنا
فقلت لـــه : لا تعجلن باقامـــة فلست على طُهرٍ ، فقال : ولا أنا

قال أبو العيناء[34] : أتيت[35] عبدالله بن داود الخريبي[36] ، فسألته أن يحدثني ، فاستصغرني ، وقال :

(٣١) الفدم من الناس : العيي عن الحجة والكلام ، في ثقـــل ورخـاوة وقلة فهم .

(٣٢) طبقات الشعراء لابن المعتز (تحقيق عبد الستار فراج . ص ٤١٦ القاهرة ١٩٥٦) . وفي جمـع الجواهر وهـــو ذيل زهر الآداب للحصري القيرواني (تحقيق علي محمد البجاوي . ص ٢٣٢ القاهرة ١٩٥٣) نسب البيتان الى ابن ابي حفصة . وهـــذا كثيراً ما كان يناقض ابن الجهم عند المتوكل .البيتان وردا أيضا في « الموشّح » للمرزباني

(٣٣) كان جيد الشعر عالماً بفنونه . وله اختصاص بالمتوكل . مات سنة ٢٤٩هـ (٨٦٣م) . وله ديوان مطبوع وأخباره في : طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ١٥١ ــ ١٥٢) ، الأغـــاني (٩ : ٩٩ ــ ١١٥) ، تاريخ بغـــداد للخطيب (١١ : ٣٦٧ ــ ٣٦٩) ، الوفيـــات (١ : ٤٩٧ ــ ٤٩٩) . وما كتبه خليل مـــردم بك ، في تصديره « ديوان علي بن الجهم » الذي حققه ونشره المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٤٩ .

(٣٤) المخطوط : أبو العينا قال .

(٣٥) تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ١٧٢) ، لسان الميزان (٥ : ٣٤٦) .

(٣٦) الخريبي (بالتصغير) نسبة الى الخريبة محـــلة كانت في البصرة (الانساب للسمعاني وجه الورقة ١٩٦) وهو عبدالله بن داود بن عامر بن الربيع الخريبي الهمداني أصله من الكوفة ، نزل خريبـــة البصرة ، فنسب اليها . مات سنة ٢١١ هـ (٨٢٦ م) .

اِذهب فتحفّظ القرآن . قلت : قد حفظته . قال : اِقرأ من رأس ستين[37] من يونس ، فقرأت العشر . فقـــال : أحسنت ، اِذهب فتعلم الفرائض . قلت : قد حفظتها . قال : فأيهما[38] أقرب اليك : عمك أو ابن أخيك ؟ قلت : ابن أخي . قال : ولِم ذاك ؟ قلت : لأن هذا من وُلد أبي وهذا من وُلد جدي . قال : أحسنت . اِذهب فتعلم العربية . قلت : قد فعلت (٣٥ ب) وتعلمت منها ما فيه كفاية . قال : فلم قال عمر [بن الخطـاب ، يعني حـين طُعن[39]] : يا لَلّه ، يا للمسلمين . قلت : لأن الأول استغاثة ، والثاني نداء . فقـال : لو كنت محدثاً أحداً في سـنك ، لحدثتك !

قال[40] أبو العيناء : دخلت على أبي أحمـد عبيدالله[41] بن عبدالله بن طاهر ، وكان يوماً صائفاً ، وقوم بين يديه يلعبون بالشطرنج . فقـال : يا أبا عبدالله ، اِنا نلعب في نَدَب[42] الى ان يـــدرك طعامنـا ، ففي أي الحزبين تحب أن تكون ؟ قلت : في حزب الأمير ، أيده الله ، فانـــه أعلى

(٣٧) المخطوط : من راس سين من يونس . أي الآية الستين . والذي في تاريخ بغداد : « قال : اقرأ (واتل عليهم نبأ نوح) . قال : فقـرأت العشر حتى أنفدته » (سورة يونس . الآية ٧٠ وما بعدها) .

(٣٨) المخطوط : فأيها

(٣٩) الزيادة من تاريخ بغداد .

(٤٠) معجم الادباء (٧ : ٦٤) ، نكت الهميان (ص ٢٦٧) .

(٤١) كان أديباً شاعراً مترسلا ، أميراً ، ولي الشرطة ببغداد خلافة عن أخيه محمد بن عبدالله بن طاهر ، ثم استقل بها بعد موت أخيه . وقـــد صنف كتباً في الادب ضاعت كلهـا . مات ببغـداد سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م) . (الاغاني ٨ : ٨٨ــ٩٧ ، والفهرست لابن النـــديم ص١١٧، وتاريخ بغداد للخطيب ١٠ : ٣٤٠ ، والمنتظم ٦:١١٧ــ١١٨، والوفيات ١ : ٣٨٦ ــ ٣٨٨) .

(٤٢) الندب : الرهان . والمراد هنا أن من غلب أخذ ما تراهنوا عليه .

وأبهى • فغُلبنا ! فقال أبو أحمد : يا أبا عبدالله ، قد غلبنا ! وقد أصابك بقسطك عشرون[٤٣] رطلاً ثلجاً • فقلت : أحضره أيها الأمير • ووثبت ، فصرت الى أبي العباس بن ثوابة[٤٤] ، فأقرأته السلام من أبي أحمد ، وقلت له : إنه يتشوقك ، وأراد أن يكتب اليك رقعة ، فخاف مراوغتك[٤٥] ، فوجهني رسولاً ، وحملني رسالة ، ولسنا نفترق الا بحضرته ! فركب معي ، وجئنا • فلما وقفت بين يديه ، قلت : أيها الأمير ، قد جئتك بجبل همذان[٤٦] ثلجاً ، فاقتضِ[٤٧] منه ما قُمرنا ، والعب مع أصحابك في الباقي ! فضحك حتى استلقى ! وسأل ابن ثوابة عن القصة ، فعرّف الخبر ، فلما وقف عليها ، شتمني وانصرف !

قال[٤٨] أبو العيناء : دخلت على المتوكل ، ودعوت له ، وكلمته • فاستحسن (٣٦ أ) خطابي ، وقال لي : بلغني ان فيك شراً ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن يكن الشرُّ ذكر المحسن باحسانه ، والمسيء باساءته ، فقد زكى الله جل وعز ، وذمّ[٤٩] • فقال في التزكية : « نِعم العبد إنه

---

(٤٣) نكت الهميان : خمسون •

(٤٤) توفي سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٦ م) وقيل سنة ٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) تولى كتابة الانشاء فيدار الخلافة العباسية ببغداد السنين الكثيرة ، وجرى مجرى الوزراء • وكان أبو العباس هذا من الثقلاء البغضاء ، له كلام مدون مستهجن مستثقل ، وللبحتري قصيدة في مدحه (الديوان ١ : ١٢٥ ــ ١٢٦ الجوائب) • وأخبار ابن ثوابة في : الفهرست (ص ١٣٥) ، أقسام ضائعة من تحفة الامراء (ص ٧٠ ــ ٧١) ، معجم الادباء (٢ : ٣٦ ــ ٥١) •

(٤٥) لعل الاصل : مراوعتك ، بالعين المهملة ، أي افزاعك •

(٤٦) نكت الهميان : قد جئتك بجبل همذان وماسبذان ثلجاً •

(٤٧) من اقتضاء الدين •

(٤٨) معجم الادباء (٧ : ٦٢) ، الوفيات (١ : ٧٢١) •

(٤٩) الوفيات : « فقال [المتوكل] : بلغني عنك بذاء في لسانك • فقال : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى وذم ، فقال •• » •

أواب"[٥٠] » • وقال في الذم : « همّاز مشّاء بنميم • مناع للخير مُعتدٍ أثيم • عُتُلّ بعد ذلك زنيم »[٥١] • فذمّه ، تعالى اسمه • وقد قال الشاعر[٥٢] :

إذا أنا بالمعروف لم أثن دائباً ولم أشتم الجبس[٥٣] اللئيم المذمّما
ففيمَ عرفت الخيرَ والشرَّ باسمه وشق لي الله المسامعَ والفما

وإن كان الشرُّ كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمّي بطبع لا يميز فقد صان الله عبدك عن ذلك •

فقال[٥٤] لي : وبلغني انك رافضيٌّ • فقلت : يا أمير المؤمنين ، وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة ، ومنشأي في مسجد جامعها ، واستاذي الأصمعي ، [وجيراني باهلة][٥٥] • وليس يخلو [الناس] من إرادة دين أو دنيا • فان أرادوا ديناً ، فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخروا [وتأخير من قدموا] • وإن أرادوا دنيا ، فأنت وآباؤك امراء المؤمنين ، [لا دين إلا بك و] لا دنيا إلا معك • [ابوك مستنزل العيث ، وفي يديك خزائن الأرض ، وأنا مولاك • فقال : ان ابن سعدان زعم ذلك فيك ! فقلت : ومَن ابن سعدان ؟ والله ما يفرق ذاك بين الامام والمأموم والتابع والمتبوع ، انما ذاك حامل درّة ومعلم صبية وآخذٌ على كتاب الله اجرة • فقال : لا تفعل لأنه مؤدب المؤيد • فقلت يا أمير المؤمنين،

---

(٥٠) سورة : ص ، الآيتان ٢٩ ، و ٤٣ •

(٥١) سورة : القلم ، الآيات ١٠ ــ ١٢ •

(٥٢) الوفيات (١ : ٧٢١) •

(٥٣) الوفيات : النكس • والجبس : الجبان ، اللئيم ، الثقيل الروح ، الفاسق •

(٥٤) معجم الادباء (١ : ٦٠) •

(٥٥) الزيادة من معجم الادباء •

انه لم يؤدبه حسبة وانما أدبه بأجرة ، فاذا أعطيته حقّه قضيت ذمامه • فقام ابن سمدان فقال : يا أبا العيناء ، لا ، والله ما صدق أمير المؤمنين في شيء مما حكاه عني ! ثم أقبل على المتوكل فقال : أي شيء أسهل عليك ، يا أمير المؤمنين ، من أن ينقضي مجلسك على ما تحب ، ثم يخرج هـــذا فَيُقَطِّعني ! قال : فضحك المتوكل] •

فقال[٥٦] : كيف داري هذه ؟ فقلت : رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا ، وأنت جعلت الدنيا في دارك[٥٧] !

فقال[٥٨] لي : ما تقول (٣٦ ب) في عبيدالله بن يحيى[٥٩] ؟ فقلت : العبد لله ولك ، منقسم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح رعيتك على كل لذة •

فقال[٦٠] : ما تقول في صاحب البريد ميمون بن ابراهيم ؟ وكان عرف اني وجدت عليه في تقصير وقع بي منه ، فقلت : يا أمير المؤمنين : يد تسرق ، واست تضرط ! هو مثل يهودي قد سرق نصف جزيته ، فله

---

(٥٦) المروج (٨ : ١٢٣) ، اليتيمة (٣ : ١٩٢) ، معجم الأدباء (٧ : ٦٢) الوفيات (١ : ٧٢١) ، لسان الميزان (٥ : ٣٤٥) •

(٥٧) ما في المروج والوفيات : « ودخل [أبو العيناء] على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري ، سنة ست وأربعين ومائتين ، فقال له : ما تقول في دارنا هذه ؟ فقال : ان الناس بنوا الدور في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك • فاستحسن كلامه » •

(٥٨) المروج (٨ : ١٢٥) •

(٥٩) هو ابو الحسن عبيدالله بن يحيى بن خاقان ، وزير المتوكل والمعتمد• مات سنة ٢٦٣هـ (٨٧٦م) •كان حسن الخط ، ذا معرفة بالحساب، الا انه كان مخلطاً • وكان كريماً حسن الأخلاق متعففاً ، وكان كرمه يستر كثيراً من عيوبه • (المنتظم ٥ : ٤٥ ، الفخري • ص ٣٢٦ ، الشذرات ٢ : ١٤٧)

(٦٠) المروج (٨ : ١٢٥) ، ذيل زهر الآداب (ص ٦٧) •

إقدام بما أدّى ؟ ومعه إحجام لما بقّى • إساءته طبيعة ، واحسانه تكلّف !

فقال[٦١] : اني أريدك لمجالستي • فقلت : لا أطيق ذاك ، ولا أقوى عليه • وما أقول هذا جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشرف ؟ ولكني رجل محجوب ، والمحجوب تختلف اشارته ويخفى عليه إيماؤك ، ويجوز علي أن أتكلم بكلام غضبان ووجهك راضٍ ، وبكلام راضٍ ووجهك غضبان• ومتى لم أميز بين هذين، هلكت [فأختار العافية على التعرّض للبلاء][٦٢] • قال : صدقت ! ولكن تلزمنا • قلت : لزوم الفرض الواجب • فوصلني بعشرة آلاف درهم •

---

(٦١) المروج (٨ : ١٢٣ ــ ١٢٤) ، تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ١٧٤) ، ذيل زهر الآداب (ص ١٢٩) ، معجم الادباء (٧ : ٦٢) ، الوفيات (١ : ٧٢١) •

(٦٢) الزيادة من الوفيات وذيل زهر الآداب •

(٦٣) تاريخ بغداد للخطيب (٣ : ١٧٤) ، محاضرات الراغب (٢ : ١٧٤ القاهرة ١٢٨٧هـ) ، معجم الادباء (٧ : ٦١) ، الوفيات (١ : ٧٢٠)، نهاية الارب (٤ : ٢٢) •

الساق على الساق

في ما هو الفارياق

أو

أيام وشهور وأعوام في عجم العرب والأعجام

تأليف

أحمد فارس الشدياق

قدم له وعلق عليه

الشيخ نسيب وهيبه الخازن

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

٧

في وصف مصر

قد قمت حامداً لله شاكراً فأين القلم والدواة حتى اصف هذه المدينة السعيدة الجديرة بالمدح من كل من رآها. لانها بلد الخير ومعدن الفضل والكرم. اهلها ذوو لطف وادب واحسان الى الغريب . وفي كلامهم من الرقة ما يغني الحزين عن التطريب . اذا حيّوك فقد احيوك. وان سلموا عليك فقد سلّموك. وان زاروك زادوك شوقاً الى رؤيتهم . وان زرتهم فسحوا لك صدورهم فضلا عن مجالسهم . اما علماؤها فان مدحهم قد انتشر في الآفاق . وفات فخر من سواهم وفاق . بهم من لين الجانب ورقة الطبع وخفض الجناح وبشاشة الوجه ما لا يمكن المبالغة في اطرائه . ولكل نوع من الناس عندهم اكرام يليق به سواء كان من النصارى او غيرهم . وربما خاطبوهم بقولهم يا سيدي ولا يستنكفون من زيارتهم ومخالطتهم ومعاشرتهم خلافا لعادة المسلمين في الديار الشامية . وبذلك لهم الفضل على غيرهم . وكأن هذه المزية وهي حسن الخلق ورقة الطبع امر مركوز في جميع أهل مصر . فان لعامتهم ايضاً مخالقة ومجاملة . وكلهم فصيح اللهجة بيّن الكلام سريع الجواب . حلو المفاكهة والمطارحة . واكثرهم يميل الى هذا النوع الذي يسمونه الانقاط . وكأنه المجارزة وهي مفاكهة تشبه السباب وهو اشبه بالاحاجي . فان من لم يكن قد تدرّب فيه لا يمكنه ان يفهم منه شيئاً وان يكن شاعراً . وكلهم يحب السماع واللهو والخلاعة وغناؤهم اشجى ما يكون . فلا يمكن لمن ألِفَهُ ان يطرب بغيره . وكذلك آلاتهم فانها تكاد تنطق عن العازف بها . واعظمها عندهم هو العود وقلّ اعتناؤهم بالناي . ولهم في ضرب العود طرق وفنون

تكاد تكون من المغيثبات . غـــير اني أذمّ من غنائهم شيئاً واحداً . وهو تكرير لفظة واحدة من بيت او موّال مراراً متعددة حتى يفقد السامع لذة معنى الكلام . ولكن أكثر ما يكون ذلك من المتطفلين على الفن . وبعكس ذلـــك طريقة أهل تونس فان غناءهم أشبه بالترتيل وهم يزعمون انهـا كانت طريقة العرب في الأندلس .

ومما ينبغي ان يذكر هنا أن النصارى المولودين في بلاد الاسلام الناهجين منهج المسلمين في العادات والاخلاق هم ابداً دونهم في الفصاحة والأدب والجمال والكياسة والظراقة والنظـــافة الا أنهم أنشط منهم على السفر والتجـــارة والصنائع وأكثر اقداماً وجلداً على تعاطي الأعمال الشاقة . وذلك ان المسلمين اهل قناعة وزهد وفي النصارى شره عظيم الى اتخـــاذ الديار الرحيبة وقنية الخيل النجيبة والجواهر النفيسة . والمتاع الفاخر لا حد لها . فاذا دخلت دار نصراني من المتمولين بمصر رأيت عنده عدة خوادم وخادمـــين ونحو عشرين قصبة للتبغ من اغلى ما يكون . وقدر نصفهـا من الاراكيل الثمينة . وثلاث غرفات مفروشات باحسن ما يكون من القماش .وآنية فضة للطعام والشراب والرائحة واسرة عالية وطيئة وثياباً فاخرة وغير ذلك . ومـع هذا فلا تجد عنده كتاباً ولو ان مشترياً شاء ان يشتري شيئاً من تاجر مسلم لوجـد سعره ارخص من بضاعة النصراني بربع الثمن ولكن وجود هذه الشراهة انما هو في الغالب عند النصارى الغرباء . فامـــا القبط فانهم اشبه بالمسلمين . وقلّ من تعاطى المتجر منهم .

اما دولة مصر اذ ذاك فانها كانت في الذروة العليا من الابهة والعزّ والفخر والكرم والمجد . فكان للمتسمين بخدمتهـا مرتب عظيم من المـــال والكسي والشحن مما لم يعهد في دولة غيرها وكان واليها يولي المراتب العلية ورسمـــات الشرف السنية لكل من المسلمين والنصارى ما عدا اليهود خلافـاً لدولة تونس فان شرفها عمّ الجميع : ومع عظم ما كان يكسبه التجار واصحاب الحرف وما يناله اهل الوظائف من الرزق العميم فكانت الاسعار بمصر رخيصة جداً

فلهذا كنت ترى الناس قصريّهم وعميّهم مقبلـين على الشغل واللهو معـــاً . فالبساتين غـــاصة باهل الخلاعة والقصوف ومحال القهوة مجمـــع للأحباب . والاعراس مسموع فيهـــا الغناء وآلات الطرب من كل طرف . والرجـــال يخطرون بالخز والديباج . والنساء ينوؤن بما عليهن من الحليّ . والخيل والبغال والحمير مسرجة ومكسوة بالحرير المزركش . الا ان صاحبنا الفارياق لم يكد يدخل ارضاً سعيدة الا ويخرج منها وقد تغير حالها . فسارجع معي الآن لنخلصه من ايدي الخرجيين . فاني تركته يحاول ذلك منذ حين .

حسين أحمد أمين

دليل المسلم الحزين
إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين

وَدراسَات إسْلامِيَّة أخْرى

الطبعة الرابعة ١٩٩٢
جميع الحقوق محفوظة ©
دار سعاد الصباح

تأملات في تطور كتابة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في الشرق والغرب

« لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » ..

حديث

لكتابة التاريخ ذاتها تاريخ ، ولكتابة السيرة سيرة . والأمر هنا لا يرجع إلى ارتقاء بالمنهج وسبل البحث والتقصي فحسب ، وإنما يرجع كذلك إلى تقلب الأهواء ، وغلبة النظريات ، وتشبع الكاتب بروح عصره ، وشيوع « موضة » فكرية معينة . ومثل هذا الانعكاس للأهواء و « الموضة » في كتابة التاريخ والسيرة ، على طرافته وعمق دلالته ، كان كفيلاً وحده بأن يقلل من شأن هذا وتلك ، ويبعث على الشك في قيمتهما ، لولا غفلة من الغالبية أو إغراض ، ولولا تقبل فلسفي من القلة لحتمية النظرة الذاتية في هذين الفرعين من فروع المعرفة . والملاحظ أنه كلما كثرت وتنوعت المعلومات المتوفرة عن عصر أو حادث تاريخي ، أو عن شخصية تاريخية بارزة ، زاد احتمال الإغراض في الكتابة عنه أو عنها ، وصياغة النظريات المختلفة بصدده أو بصددها ، إذ تعظم حينئذ أمام المؤرخ أو كاتب السيرة فرصة انتقاء الأحداث التي توافق هواه ، أو تؤكد رأياً له . وقد شبه أ . هـ . كار في كتابه « ما التاريخ ؟ » موقف المؤرخ من المعلومات المتوفرة لديه بموقف صياد السمك الذي يخرج لصيد نوع معين منه ، فيختار لصيده ما يناسبه من الآلة والعدة ، ويمضي بزورقه إلى الجهة التي يكثر فيها هذا النوع ، ويتوغل في البحر المسافة التي

يراها مناسبة ، وقد يخرج في الشبكة أو يتعلق بسنارته صنف لا يريده فيعيده إلى البحر ، محتفظاً في زورقه بالصنف المطلوب وحده !

مفهوم التاريخ لدى المؤرخين المسلمين الأوائل

وقد أنكر البعض على المؤرخين المسلمين القدامى في كتابتهم لتاريخ العالم الإسلامي بعد وفاة النبي ، اكتفاءهم بسرد الأحداث دون عناية بتعليق ، والاقدام على تسجيلها دون وجهة نظر مسبقة . وقد كان وراء منهاجهم هذا في الكتابة ، ووراء ذلك القدر المذهل من الموضوعية الذي تتمتع به مؤلفاتهم ، اعتبارهم التاريخ المظهر الخارجي لإرادة الله في عالمنا هذا ، واعتقادهم انه بالإمكان التوصل إلى كنه هذه الإرادة باستقراء ظواهرها . ومن ثم فقد رأوا واجباً عليهم تسجيل هذه الظواهر في صدق ، والإحجام عن إعمال الهوى في الانتقاء . فهم هنا أشبه بالمحقق في شأن من الشؤون ، يجمع ما بوسعه جمعه من المعلومات والحقائق ، دون أن يدري أيها سيكون ذا صلة بالكشف عما يريد كشفه . ولا يعني هذا أنهم كانوا لا ينتقون ، (إذ من ذا الذي بوسعه أن يسجل كل صغيرة وكبيرة بصدد أي من الأمور ؟) ، كما لا يعني أنهم جميعاً كانوا يتعففون عن مراعاة هوى الحكام أو مقتضيات المذاهب التي يتبعونها . غير أن المؤكد أن المؤرخين المسلمين في العصور الوسطى ألزموا أنفسهم بقسط من الموضوعية يندر أن تجده في غيرهم ، وأن ورعهم كان له الفضل الأول في ذلك . فقد بدأ الكثيرون منهم ـ كالطبري ـ حياتهم بالكتابة في التفسير أو الحديث ، وإذ تحولوا إلى كتابة التاريخ التزموا فيها بنفس المنهج والدقة والورع والمعايير التي أخذوا أنفسهم بها في تعرضهم للحديث والتفسير . فإن كان الورع دفع غيرهم من المؤرخين إلى الكذب والتلفيق عن حسن نية ، فقد كان مفهوم الورع لدى المؤرخين المسلمين هو التزام الصدق والأمانة قدر الإمكان وهما ما قد يسميان في زمننا هذا بالروح العلمية .

موقف المسلمين الأوائل من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :

ويختلف الحال بعض الشيء بصدد كتابة السيرة النبوية ، خاصة كلما اتسعت الفجوة بين زمن المؤرخ وزمن النبي . فالصدق أوفر في مؤلفات كتاب السيرة

الأوائل ، كعروة بن الزبير بن العوام (٦٤٣ – ٧١٢ م) ، وأبان بن عثمان بن عفان (٦٤٢ – ٧٢٣ م) ، وموسى بن عقبة (توفي عام ٧٥٨ م) ، وحديث المعجزات فيها أقل والصراحة أكبر . وقد ضاعت للأسف هذه المؤلفات فلم يصلنا منها غير فقرات أوردتها كتب ابن اسحاق والواقدي وابن سعد والطبري وغيرهم . وترجع سمة الصدق والصراحة هذه في كتابات الأوائل إلى أسباب أهمها : أن القيم والمعايير والأذواق في عصرهم المقارب لعصر النبي لم يكن قد طرأ بعد عليها تغيير كبير ، وأن حديث الصحابة ومعاصري النبي عن أحداث زمانهم وأفعال النبي وأقواله كانت لا تزال حية في أذهان التابعين . أضف إلى ذلك أن إعجابهم الشديد بشخصية النبي وحرصهم على الإحاطة بكل ما صدر عنه من أقوال وأفعال وبكل صغيرة وكبيرة تتعلق به ، ومن أجل ارساء دعائم الفقه والشريعة ومعرفة حكم الدين في أدق تفصيلات الحياة اليومية ، دفعاهم إلى تسجيل كل ما يسمعون عنه ، لا ينتقون ولا يتخيرون ، ولا يستشعرون بحرج إزاء تدوين هذه الواقعة أو تلك . فكل ما صدر عن النبي خليق بالتوقير والدراسة ، وان كان هناك من الأفعال ما يصعب فهم بواعثه ، أو ما لا يتفق مع العرف الشائع ، فإن المشكلة إنما هي في قصور فكرهم عن إدراك المغزى الذي قد تكشف الأيام عنه ، والحكمة التي قد تتضح لأجيال لاحقة . وكان هذا دون أدنى ميل منهم إلى تقديس نبيهم على نهج ما فعل النصارى ، ودون أن تغيب عن أذهانهم فكرة أن محمداً إنما هو بشر مثلهم ، يوحى إليه . فكان موقفهم إذن من السيرة النبوية متفقاً مع موقف المؤرخين المسلمين بعدهم من علم التاريخ ، إذ رأوا واجبهم تسجيل مظاهر إرادة الله كما هي (أو كما تجلت لهم) ، ثم التأمل فيها واستنباط العبرة ، أو ترك التأمل فيها للأجيال التالية من أجل الكشف عن كنه هذه الإرادة .

تأثر كتابة السيرة بتطور الأذواق والقيم

غير أنه بتعاقب الأجيال ومر القرون ، وبتطور الأذواق والقيم ، وبالاتصال والتأثر بشعوب الأقطار المفتوحة وأتباع الديانات الأخرى ، بدأت كتابة سيرة النبي تنحرف عن هذا المنهج العربي الصرف انحرافاً تزايد حتى بلغ أقصى مدى له في العصر الحديث ، خاصة وقد تولى الكتابة في السيرة من كانوا من الموالي ذوي

المعايير والمفاهيم المخالفة لمعايير العرب ومفاهيمهم . فقد انشغل العرب أساساً بإدارة شؤون الدولة ودفة الحروب ، وعكف هؤلاء الموالي على الدراسة والكتابة في مختلف العلوم وعلوم الدين بالأخص ، حتى كان لهم التفوق في مضمارها .

وقد بدأ هذا الإنحراف في كتابة السيرة على أثر الفتوحات الإسلامية ، ومحاولات نشر الإسلام في البلدان المفتوحة ، وما أدت إليه هذه المحاولات من دخول الفاتحين في مجادلات دينية مع أهلها ، خاصة من النصارى واليهود . فقد كان هؤلاء في دفاعهم عن تفوق دينهم يشيرون إلى المعجزات الخارقة لأنبياء العهد القديم ، أو إلى ترفّع المسيح عن الشهوات والأغراض الدنيوية . وكان أن اختار المسلمون في جدالهم أن يردوا بنسبة قدر متزايد من المعجزات إلى نبيهم ، شبيهة أو غير شبيهة بمعجزات المسيح وأنبياء اليهود ، وبنسبة أهداف سياسية أو غيرها لأفعال ووقائع هاجمها خصومهم ، كتعدد زوجات النبي ، ومعاملته ليهود المدينة وإرساله أصحاب له لقتل شعراء هجوه ، وهي معجزات وأهداف لم توردها مؤلفات الأوائل من كتاب السيرة .

وزاد من هذه الحاجة إلى « الدفاع » (وهو دفاع لم يكن له في الواقع ما يبرره أو يدعو إليه) ما ذكرناه عن تطور الأخلاق والقيم وتغير الأذواق . فالذوق في عصر معين قد يستنكر ما لم يكن يستنكره الأوائل ، وقد يتقبل ما وجد الأولون صعوبة في تقبله وهضمه . مثال ذلك أن الحكم بقطع رقاب الرجال من أسرى بني قريظة قد رأى كتاب السيرة المتأخرون ضرورة ملحة لتبريره ، بينما تقبلوا ببساطة تامة أمر النبي بقطع نخل بني النضير وإحراقها أثناء حصار المسلمين لهم باعتباره مجرد « قطع للإمدادات الحيوية عن العدو » ، وهو أمر أثار دهشة بعض أصحاب النبي ، إذ كانوا في الجاهلية يستهجنون قطع النخيل حتى في زمن الحرب ، ولم يهدأ روعهم حتى نزلت آية قرآنية في هذا الشأن (سورة الحشر : ٥) . وقد كان تغير الأذواق هذا هو ما حدا بابن هشام أن يكتب في مقدمة مختصره للسيرة النبوية لابن اسحاق : « وأنا ان شاء الله تارك بعض ما يذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب .. أشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته » .

بدء الاتجاه إلى طمس الحقائق واختراع القصص :

وكان أن بدأت الأيدي تمتد إلى السيرة لطمس بعض الحقائق أو اختراع القصص من أجل التخفيف من تأثير معين أو إزالته ، أو خلق تأثير معين أو تقويته . وقد شجع على تناول بعض جوانب السيرة بالتزوير والتلفيق وإن بدا ذلك على نحو أوضح في مادة الحديث – انتماء كتابها إلى مذاهب دينية أو سياسية شتى . فأضاف المتشيعون القصص عن بطولات عليّ ، والموالي من الفرس الأحاديث والحكايات عن سلمان ، والكتاب في بلاط الخلفاء العباسيين ما يعلي من شأن العباس ويؤكد تبكير إسلامه ، وما يشين الأمويين ويضخم من عداوة أبي سفيان للنبي .

وكانت نتيجة ذلك كله أن طرأ تدهور ملحوظ على المؤلفات في السيرة بعد ما كتبه ابن اسحاق (توفي في عام ٧٦٨ م) ، والواقدي (٧٤٧ – ٨٢٢ م) وابن سعد كاتب الواقدي (توفي عام ٨٤٥ م) والطبري (٨٣٩ – ٩٢٢ م) . وفي رأينا أن كتابات الواقدي في السيرة ـ سواء في كتابه « المغازي » أو ما نقله عنه ابن سعد في كتابه « الطبقات الكبرى » – هي أوفى وأصدق مؤلفات السيرة ، رغم أنه في « المغازي » لا يتناول غير الفترة المدنية من حياة النبي ، والغزوات وحدها من بين أحداثها . أما السيرة النبوية لابن اسحاق فلم تصل إلينا إلا على النحو المختصر المهذب الذي أعده ابن هشام (توفي عام ٨٣٣ م) وقيمتها الكبرى – إن نحن قارناها بمغازي الواقدي هي فيما أوردته عن حياة النبي قبل بدء المغازي ، وعن حياته الخاصة وغير المغازي من الأحداث حتى وفاته .

كتب السيرة :

هذه الكتب الأربعة (سيرة ابن اسحاق ومغازي الواقدي وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري) هي – بالإضافة إلى القرآن – أهم مصادر السيرة . وتكاد تكون المؤلفات اللاحقة خالية تماماً من القيمة التاريخية ما لم تحوِ في طياتها روايات عن المؤرخين الأوائل الذين فقدت كتاباتهم (وهي اقتباسات مع ذلك جد ضئيلة) . وهو قول ينطبق على « عيون الأثر » لابن سيد الناس (١٢٧٣ – ١٣٣٤ م) و « المواهب اللدنية » للقسطلاني (١٤٤٨ – ١٥١٧ م) ، و« السيرة الشامية » لشمس الدين

الشامي (توفي عام ١٥٣٦ م) و « السيرة الحلبية » لنور الدين الحلبي (١٥٦٧ ١٦٣٥ م) ، كما ينطبق على كتابات ابن خياط وابن حزم وابن الجوزي وأبي الفدا والنويري والذهبي وابن كثير وابن خلدون والمقريزي والديار بكري وابن العماد الحنبلي وتاريخ ابن الأثير . ومع ذلك فبوسعنا أن نجد مادة قيمة تفيدنا في كتابة السيرة متناثرة في كتب مثل « كتاب الأصنام » لابن الكلبي و« أخبار مكة » للأزرقي ، ومجموعات الحديث لابن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم ، و« فتوح البلدان » و « أنساب الأشراف » للبلاذري ، وتاريخ اليعقوبي ، وكتب التفسير ، خاصة تفسير الطبري ، و « مروج الذهب » للمسعودي ، و « أخبار المدينة » للسمهودي ، و « حياة الحيوان الكبرى » للدميري ، والكتب الخاصة بتراجم الصحابة مثل « أسد الغابة » لابن الأثير ، و « الإصابة » لابن حجر العسقلاني ، ثم كتب متناثرة في الأدب أو اللغة « كالأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني و « الإشتقاق » لابن دريد و « الكامل » للمبرد .

ويمكن القول بوجه عام بأن الاتجاه في كتابة السيرة بعد الأربعة الكبار الذين ذكرناهم آنفاً كان إما إلى تلخيص الكتب السابقة وتجميع المعلومات منها ، أو إلى الاهتمام بدلائل النبوة والشمائل . وكان أن باتت الكتب اللاحقة أقرب إلى ما يسمى بالـ hagiography (وهي السيرة التي تتسم بتقديس الكاتب للمترجم له أو بإظهاره بمظهر مثالي) منها إلى السيرة بمعناها الأدق ، وإلى الوعظ والإرشاد منها إلى الكتابة التاريخية . فقد صار الغرض هو الكتابة عن مثل أعلى يحتذى لا العناية بتسجيل الحقيقة من أجل الحقيقة ، وذلك على أساس التشكك في قيمة الحقيقة ما لم تكن تخدم غرضاً أخلاقياً أو دينياً . وهو موقف يمكن أن يقبله البعض وأن يراه مشروعاً إلى يومنا هذا . ولم يجد بعض هؤلاء الكتاب ضيراً من الاختراع ان كان من شأن الاختراع تعزيز الإيمان ، وطبقوا هذا المعيار في السيرة والحديث على السواء . وبمرور الزمن على وفاة النبي تضاءلت في الكتب والأذهان ملامح الصورة الواقعية الحية لنبي بشر من لحم ودم ، ونمت الخرافات التي لا يقبلها عقل ، وقصص المعجزات التي لم ينسبها النبي إلى نفسه ، ولا الصحابة إليه ، ولا تحدث عنها القرآن الذي لم يترك في سبيل اقناع خصوم الدين بصدقه – دليلاً من دلائل نبوة محمد لم يذكره . والظاهر أن هذه الكتب كانت تلقى لدى القراء رواجاً

وقبولاً أكبر مما كانت كتب ابن اسحاق والواقدي تلقى لديهم ، خاصة في ظل حكم العثمانيين الذي انحطت خلاله الحياة العقلية ، بل وأضحى من الصعب (وأحياناً من المستحيل) حتى أواخر القرن التاسع عشر العثور على نسخة من سيرة ابن هشام أو مغازي الواقدي أو طبقات ابن سعد .